قصص مسيحية من واقع الحياة

— ٢ —

قصص عن

الإيمان والمعجزات

دار مجلة مـــرقس

قصة واقعية:

سر التناول... والشفاء

إذا لم تكن قيامة، تفقد الحياة معناها، ويفقد إيماننا معناه أيضاً. وإذا كان المسيح لم يقم فباطل إيماننا كما يقول الرسول (١كو١٥:١٧).

والآن سأسمح لنفسي أن أقرأ خطاباً، من المحتمل أن لا تقنع الحادثة الموصوفة فيه الشكاكين، ولكن العالم لا يتكون من الشكاكين فقط. لأنه قد تلمس هذه الحادثة قلب شخص آخر، فينفعل. وتبدأ روحه في تذوُّق القيامة، فيقصِّر بذلك المسافة بينه وبين رجاء القيامة العامة. فالمعجزة التي تحدث لشخص واحد، تصبح نوراً وميراثاً مشتركاً، وبالتالي معجزة مشتركة. وإليكم الرسالة:

.... الآن دعني أخبرك كيف شفى التناول ابني:

كنت آخذ ابني إلى الكنيسة للصلاة والتناول من الأسرار الإلهية حتى أصبح في الرابعة عشرة من عمره، حيث صار حمله على الذهاب إلى الكنيسة أمراً في غاية الصعوبة، لأنه لم يعد يريد أن يواظب على ذلك. ومنذ هذه السن والأحلام الرهيبة كانت تؤرق نومه بالليل وتجعله يفقز من فراشه صارخاً مرتعباً من شبح يطارده محاولاً إمساكه. وذهبنا به إلى الأطباء أكثر من مرة. فرجح بعضهم أنها انفعالات المراهقة وأنها لابد ستنتهي. غير أن بعضهم الآخر أشار عليه ببعض الأدوية، ولكنها لم تُجْدِ شيئاً، بل بالعكس كانت الأحلام المزعجة تزداد أكثر وأكثر. ثم بدأوا يتحدثون عن الجنون، وعلى ذلك لم يَصِرْ هناك رجاء من الأطباء. لقد كان ابني قوي البنية ذا صحة ممتازة، كما كان متقدماً في دراسته وخاصة في الرياضة والطبيعيات، بل إنه كان يثير إعجاب أساتذته. ورغم ذلك ورغم التحاقه بأكاديمية موسكو للطبيعيات إلا أن تلك الأزمات الليلية كانت تزعجه أكثر وأكثر. أما

بالنهار فلم يكن يحدث منها شيء.

وأخيراً وبعد أن عانى حوالي ثماني سنوات [وقد بلغ السنة الثالثة من دراسته في المعهد بينما وصل عدد الأزمات إلى ثلاث مرات كل ليلة]، تحدثت جدته [أي والدتي] إلى راهبة عما إذا كان قد انقضى عليه وقت طويل منذ آخر مرة تناول فيها من الأسرار المقدسة. وفجاة تذكرنا أن هذه الأزمات قد بدأت منذ اللحظة التي بدأ فيها يمتنع عن التناول. فنصحتنا أن نأخذه للتناول بثقة وإيمان. ولكنه لم يُردْ أن يستجيب. كنا في ذلك الوقت نعيش في مكان صغير في الريف في منتصف الطريق إلى "زاجروسك". فحضرت والدتي وشقيقتي بالسيارة ليقنعاه بالذهاب إلى الكنيسة، فرفض، ولم يكن يريد حتى أن ينصت إليهما. فبدأتا في البكاء قائلتين إنهما قد فقدتا احترامه وحبه. وأخيراً رضخ وقرَّ عزمه، فساعدناه على ارتداء ملابسه. وكان سرورنا عظيماً عندما وصلنا الكنيسة فوجدنا عدداً كبيراً من الشباب رجالاً ونساءً. كما كان سرورنا أعظم عندما استجاب ابني لنا وفعل كل ما سألناه أن يفعل. لقد صلى بكل جدِّية ومن أعماق روحه، وصلينا نحن معه بحرارة، ثم اعترف على يد كاهن شاب، ثم تناول بعد أن ظلَّ واقفاً طوال القداس. وعدنا بعد ذلك إلى المنزل في الريف بينما عادت والدتي وشقيقتي إلى موسكو.

هل يمكنك أن تتصور مقدار فرحنا وسعادتنا؟ فمنذ ذلك اليوم لم يرفع رأسه بالليل أبداً. لقد انتهى كل شيء، ولا حتى مرة واحدة، بعد أن كانت تهاجمه هذه الأزمات ثلاث مرات كل ليلة. وكم كان مؤلماً عليَّ جداً، أنا والدته، أن أشاهده في هذه الحالات. فقد كان منظره أثناءها رهيباً حقاً. أما الآن! فالمجد العظيم لله وحده. فإن ابني متزوج وله طفلان وفي منتهى السعادة.

قصة واقعية:

العذراء تتعامل مع شابة مريضة

(لم تكن تؤمن بالله)

وُلدتُ في عام ١٩٤٣، وتربيتُ في أحضان أسرة ملحدة. لم يكن والداي فقط غير مؤمنين بالله بل كانت كذلك جدّتي. أَجَلْ، إنني تعلمت منذ نعومة أظفاري أنه لم يكن إله، ولا ولن يكون. لم أكن أُعنَى بالسؤال في أمور العقيدة، أو الأيقونات، أو القصص الدينية، لأني لم أكن أعرف عنها شيئاً، كما لم أفكر فيها مرةً.

في عام ١٩٦٢ وبعد نزلة برد حادة، أُصبتُ بالتهاب في أغشية المخ. وفي ربيع ١٩٦٣ تحسنت حالتي، بينما كنت لا أزال أعانى من بعض الآثار المتبقية، إذ كنت أشكو من حركة عصبية شديدة بالعين، وتعثُّر في الكلام، مع عدم تحكم في الحركة أثناء المشي، علاوة على تلك النوبات الشديدة المتكررة من الصداع التي بلغت أحياناً حد فقدان الوعي،

وبعد ذلك بقليل أُصبتُ في حادثة بارتجاج شديد بالمخ لازمتُ بسببه الفراش، وبعد فترة شُفيت وبدأت أستأنف دراستي، رغم أن الأطباء منعوني ليس من القراءة فحسب، بل أيضاً من سماع الراديو. كان عمري آنذاك عشرين سنة. وكنت بالإضافة إلى دراستي بالمعهد أتلقى دروساً في نطق الألفاظ.

وذات ليلة من الليالي، وبالتحديد في ١٢ أبريل ١٩٦٣ بينما أنا راقدة، وكان رأس سريري مواجهاً للنافذة، وباب الحجرة بالحائط المقابل لها، استيقظت فجأة على نوع من الضوء الشديد، ولما فتحت عينيَّ كانت الغرفة مظلمة؛ وفجأة، وفي الركن الأيسر فوق مستوى النظر بقليل، ظهرت نقطة لامعة مضيئة تتألق، ثم بدأت موجات من الضوء تنتشر منها قليلاً قليلاً وتتسع حتى ملأت كل الغرفة. كان الضوء

شديد اللمعان جداً، لكنه كان هادئاً ومريحاً.

وفجأة، وليس تدريجياً، بل مرة واحدة، تجلَّت أمامي امرأة ذات شعر مسترسل فاتح، يغطي رأسَها خِمارٌ[1] سماوي اللون. استدارت عيناها نحوي نصف استدارة وبنظرة عميقة، وابتسمت لي بحب وحنان، عرفت للوقت أنها والدة الإله (وهنا أذكر ثانية أنني لم أشاهد قبلاً طوال حياتي أيقونة لوالدة الإله، كما لم يكن لي أي شغف بأي نوع من الدين).

ولم يكن هذا المشهد مصحوباً بأيٍّ من الموسيقى والترتيل كما يتبادر إلى ذهن الكثيرين، بل بنوع من لحن عذب غير عادي، ذي نغمة مريحة. بعد ذلك اختفت العذراء، وبدأ الصوت يخبو، والضوء يتجمع من جديد في نقطة واحدة، ثم اختفى كل شيء.

قرصت نفسي قرصةً لأتأكد من أنني لست نائمة، فآلمتني، إذن فأنا لم أكن نائمة! وفي الصباح لم أخبر أسرتي بشيء، ولكني رويت كل شيء بالتفصيل لمعلمتي التي كانت تدربني على الكلام، فأشارت عليَّ بأن أذهب إلى الكنيسة وأوقد شمعة أمام أيقونة العذراء والدة الإله.

واعترضت: "لماذا يجب أن أذهب إلى الكنيسة؟". إن كان هذا هو غاية ما تريده فلتذهب هي وتضيء شمعة باسمي أمام الأيقونة، وأنا أعطيها مقدار روبل من العملة. وبعد قليل من الحصص، أوقَدَتْ لي مُعلمتي شمعة.

أما الإلتهاب الذي حدث بأغشية المخ فقد زال تماماً دون ترك أية آثار، كما اختفت تماماً نوبات الصداع الشديدة، وشُفيت من الحركة العصبية للعين، واستعدتُ قدرتي على التحكم في المشي؛ أما أطباء الأمراض العصبية الذين فحصوني بعد ذلك فقد قرروا جميعهم أنني

---

(١) الخمار هو الستر الذي تغطي به المرأة رأسها.

شفيت تماماً الأمر الذي لم يحدث في الطب قط.

لقد قرر الأطباء مرات عديدة منذ إصابتي بذلك الداء أن نهاية أجلي قد حانت (لأنه بالإضافة إلى التهاب أغشية المخ؛ فقد أُجريت لي ست عمليات جراحية، كما أن لي قلباً ضعيفاً بسبب قصور فطري في الشريان التاجي مصحوب بخلل في الصمام الميترالي)، لكنني كل مرة سمعت فيها هذا التشخيص المشؤوم، كنت أصيح وأنا واعية بقوة هائلة وأقول: "لا، إنني سأبقى حية"، وهكذا فإنني ما زلت حية.

وبعد سنوات عديدة، قالت لي صاحبة الفندق الذي كنت أقطنه: "إنه يجب أن تتعمدي، وسأكون إشبينتكِ. إنك تؤمنين بالله حتى لو كنتِ لا تريدين الاعتراف بذلك". وقد حدث ذلك فعلاً، فقد نلت سر العماد في ١٩٧٣، أي بعد عشرة أعوام ونصف منذ تلك الإصابة.

إنه عسير عليَّ إلى هذا اليوم، أن أسمي ما حدث أنه رؤيا لوالدة الإله، حيث أنني لا أستطيع أن أتصور بعقلي الضعيف، بل إني لا أحاول ذلك، لماذا حُسبت مستحقة لمثل هذه الرحمة. لكني أستطيع أن أسجل فقط أنني لم أمارس النفاق قط، إن أخطائي وخطاياي حقيقية فعلاً، لكنني مستحيل أن أنطق بالكذب.

التوقيع

(.....)

٢٤ يناير ١٩٧٤

المقدَّسات.. وشفاء النفس

لقد قرأت عليكم حوادث لم تحدث في الزمان الغابر، لكنها حدثت في وقتنا الحاضر. أنا أعلم أنه سيوجد دائماً المتشككون الذين سيحاولون أن يفسروا كل شيء بطريقتهم الخاصة، ولكن مهما كانت تفسيراتهم فإن الذين حدثت لهم هذه الأحداث يعلمون جيداً معناها، فليس الأمر قاصراً على أنه جعل - بطريقة ما - حياتهم أسهل، بل إن الأحداث التي حدثت لهم أقامت أرواحهم أي جعلتهم يعيشون القيامة، بل وهيأتهم لملاقاة يوم القيامة العامة.

وسأتكلم الآن عن حادثة أخرى أخبرني بها أحد أعضاء الكنيسة. كان هذا الشخص مُدمناً الشراب وكان بلا أمل. ثم حدث أن عثر على أيقونة للقديس نيقولا فتضرع بكل روحه صارخاً: "النجدة". وإليكم النتيجة : لقد وجد هذا الشخص أن لديه القوة ليمتنع عن الشراب رغم أنه لم تُجْدِ أية وسيلةٍ من قبل لتحقيق ذلك.

إن كل شيء نجده في الكنيسة - كل أشيائها المقدسة: الأيقونات، الماء المقدس، الزيت...إلخ كلها أشياء مادية منظورة - لكن لها فعلها السري الحقيقي، فالله يمنح من خلالها رحمته ونعمته. لذلك فيجب علينا أن نستخدم وننتفع بكل ما تقدمه الكنيسة من وسائط سواء كانت صلواتٍ أو ماءً مقدساً أو غير ذلك.. نعم لقد نسينا أن هناك قوة عظيمة في الماء المقدس - ولكنها الحقيقة. انصتوا معي إلى الأستاذ العلامة والطبيب الجراح "دكتور فوينو إيازنتسكي **Dr.Voino Iasenetskii**" الذي أعتقد أنهم لا زالوا يستخدمون مراجعه التي كتبها عن جراحة "الأعضاء المتقيِّحة **suppurative surgery**" والذي عاش من سنة ١٨٧٧ إلى سنة ١٩٦١. وهو جراح وباحث طبي. وقد رُسم كاهناً بعد أن ترمل، وخدم في كنيسة في طشقند في آسيا الوسطى السوفيتية. وكان في نفس الوقت يدرِّس الطب في الجامعة. وفي سنة ١٩٢٣ انتخب أسقفاً لطشقند آخذاً اسم القديس لوقا الطبيب والحبيب وهو الاسم الذي

ناله منذ وقت رهبنته - وتظهر شهرته في مهنته العلمانية (قبل الرهبنة) مما كُتِبَ عنه في دائرة المعارف الطبية السوفيتية.

يقول رئيس الأساقفة لوقا: "جرّب وخذ شيئاً من الماء المقدس - وستفهم حينئذ ماذا يعني الماء المقدس." إنه من السهل أن تضحك وأن تنكر، ولكن تأكد أنك لن تضحك على نفسك، فأنا نفسي (وهنا الحديث للأب ديمتري الذي يسرد هذه الوقائع) أعرف تماماً من واقع خبرتي الكهنوتية القيمة العظمى للتناول وللماء المقدس بل ولكل شيء آخر في الكنيسة.

ربما يعرف الكثيرون منكم الفيلسوف الروسي "فاسيلي فاسيليفتش روزانوف **Vasilii Vasilevich Rozanov**" الذي كان فيلسوفاً أصيلاً حقاً. لقد استمر مدة طويلة لا يتناول من الأسرار المقدسة، بل كان يسخر منها، لكن لا يمكن لأحد أن يقول إنه لم يؤمن إطلاقاً. فالرجل كان يميل فقط إلى استشارة الناس في كل شيء حتى سماه الفيلسوف الروسي "برديائيف **Berdiaev** (المشاغب العبقري)". وإليكم ما حدث لهذا المشاغب قبل موته، وسأقرأ النص التالي من كتاب المؤلف إريك جولرباخ[٢] عن حياة وأعمال ف.ف. روزانوف:

[كانت أيام ف.ف. الأخيرة "أُوصانّا"[٣] مستمرة ليسوع! فآلامه الجسدية لم تطفئ تهليله الروحي وتجلّيه المتألق. حتى أنه كان يفيض بالفرح أحيانا قائلاً: "هلم نحتضن بعضنا بعضاً. ونقبّل بعضنا بعضاً باسم المسيح القائم من بين الأموات. نعم لقد قام المسيح من الأموات. ما أبهج ذلك وما أحلاه. إن معجزات حقيقية تحدث معي. وما أعجب تلك المعجزات التي سأكشف عنها في وقت ما فيما بعد". وقبل انتقاله مباشرة خفت عنه آلامه، وتناول من الأسرار المقدسة، وبمحض رغبته، أربع مرات. وقد تم رحيله بدون ألم وبمنتهى الهدوء وبكل وقار.]

---

(2) Erich Gollerbach: ***V.V. Rozanov, Life & Work*****, Petersburg, 1922.**

(٣) أي تهليلاً مستمراً من عمق الألم مثل كلمة "أوصانا" التي كان يرددها اليهود في استقبالهم للرب يسوع يوم أحد الشعانين.

خبرة روحية واقعية:

الإيمان بالله إحساس وليس فهماً

أبونا العزيز ديمتري:

لقد سألت الشباب من رعيتك أن يصفوا طريقهم إلى الإيمان وكيف كان. لذلك إليك ما حدث لي:

إن كل أعضاء أسرتي ملحدون متمادون في الإلحاد عن جنوح واقتناع متأصِّلَيْن. وحتى جدي وجدتي كانا غير مؤمنين. وبالطبع كنت قد تعلمت هذا الدرس جيداً منذ الطفولة: إن الله مجرد أسطورة ملفقة ابتدعها أناس جهلة. وهكذا كانت مجرد كلمة "دين" تثير فيَّ وترتبط في داخلي بأفكار وصور ومشاعر مخيفة: وجوه مشوَّهة بعيون فقدت التعقل، حجرات مغلقة مظلمة، شموع وقبور، إلى غير ذلك. ولم يكن هناك أي فارق عندي بين مدلول الكلمتين: الكنيسة، والله، فقد كانت كلها كلمات غامضة مظلمة مخيفة وغريبة عني تماماً. ولكني دون أن أدري كنت أتحسس طريقي نحو الله. تضادَّة عجيبة، أليس كذلك! فكلما كنت أفكر فيما حولي، كلما ازداد اقتناعي بأن كل شيء بلا معنى ولا يساوي شروى نقير، حتى وصلت إلى حد إنكار ورفض كل شيء وكل شخص. وصارت عندي المفاهيم مثل الضمير والحق والأخلاق بلا معنى، خالية، وجوفاء تماماً. وكانت تلك الأشياء إما لا تعنيني إطلاقاً وإما تثيرني بشدة وخاصة تلك الشعارات الجريئة.

إنني أفهم الآن طبعاً أنه بدون الله، لا يمكن أن تكون الحياة والأشياء على هذه الصورة. وهكذا لم يكن هناك أي شيء يسبب لي سعادة حقيقية، فبدأت أعاقر الخمر لأنسى، فكنت أشرب حتى أفقد الوعي، ولم يمضِ وقت طويل حتى أصبحت سكِّيراً مدمناً. ولم يقتصر الأمر، بعد مدة، على الشراب، فبمنتهى البساطة والسرعة وصلت لنهاية الطريق.

ففي ذات مرة سكرت واشتركت في مشاجرة، وإذا بي مُلقَى في السجن بسبب العربدة والاعتداء على الغير (بناء على المادة ٢٠٦٠٢).

كان في زنزانتي رجل تقي يصلي كثيراً ويرشم نفسه بعلامة الصليب قبل تناول طعامه، مما جعل الكثيرين، وأنا منهم، يسخرون منه. وفي يوم من الأيام استدرجتُه إلى جدل حول الدين لا لشيء إلا لمجرد طرد السأم. وقد بدأتُ من جانبي في أول الأمر بسَيْل ساخر متدفق من التعليقات عن كيف أن النساء العجائز صنعن الله من أوهامهن وأفكارهن. أما هو فقد كان يرد على كل نقطة جدل - بكل ما فيها من سخرية وامتهان - بمنتهى الجدية والوقار. وبعد مدة ظهر اقتناعه الذي لا يهتز مثيراً لثائرتي. فتحولت، من مجرد لذة المشاكسة، إلى الدفاع الجاد عن الإلحاد مثبتاً بكل دليل ممكن أن الله لا يمكن أن يكون موجوداً. لقد كنت في الحقيقة لا أبالي لا بالله ولا بالإلحاد - لكني كنت أريد أن أحطم ثقة هذا السجين فقط. نعم كان هذا هو الشيء الرئيسي. وكانت عجرفتي تدفعني دفعاً وتُلهب منطقي إلهاباً. وقد حققتُ ما أردتُ.

ثم توقف الرجل عن الكلام، نعم صمت وبدأ يبكي، ثم بدأ يصلي من أجل أن يتقوى إيمانه، والغريب أنني لم أشعر بالرضا عن انتصاري، بل شعرت بثقل رهيب يقع عليَّ، وأحسست بالألم كأني صنعت أمراً دنيئاً. أما هو فقد استمر يصلي ولكن بهدوء. وفجأة رفع رأسه ونظر إليَّ مبتسماً، فانذهلت من منظر وجهه: كان كأنه اغتسل وكأن به شيئاً غريباً مُفرحاً نقياً. وفي الحال انزاح الثقل الذي أحسست به يسحق روحي، وأدركت بحسِّي أنه قد صفح عني. وبدأت أشعر بنوع ما من النور ينساب إلى داخلي. ومع النور بدأ يتخللني الشعور بأن الله موجود. لم يكن الأمر أنني "فهمت" بقدر ما أنني "أحسست" بوجوده بكل كياني. نعم إنه موجود، لقد كان وسيكون هكذا إلى الأبد: هو دائم الوجود وحده وفي كل مكان، إنه أبونا ونحن أولاده، وإخوة بعضنا

لبعض.ونسيت أنني في السجن، ولم أشعر إلا بشيء واحد فقط: فرح عظيم وعرفان بالجميل للإله الذي أظهر نفسه لي أنا غير المستحق.

ولا يفوتني أن أذكر ذلك الأمر الغريب المجيد الذي حدث لي بعد ذلك: فقد كنت قبل انفتاح بصيرتي، وبسبب عدم إيماني؛ لا أرى في الكتب المقدسة سوى كلمات مظلمة غير مفهومة، وكأنها نسيج من المتناقضات. أما بعد إيماني فإن كل كلمة من الإنجيل أصبحت لي مُفعَمة بالمعنى بل وقريبة من عقلي وقلبي. المجد للآب والإبن والروح القدس الآن وإلى آباد الدهور كلها آمين.

ملحوظة: بعد إعادة قراءة ما كتبت، أجد أنني صورت كل شيء حدث لي، كما لو كان بسيطاً سطحياً، ولكن الأمر ليس كذلك. إنك ستفهم بالطبع أن الكلمات تعجز عن نقل وتصوير ما اختبرتُه في اللحظة التي أعلن الله فيها ذاته لي.

الصلاة بالمزامير ... وأعمال السحر

وإليكم رسالة أخرى:

... أكتب إليكم شيئاً من المعجزات التي حدثت لي:

تعرضت للقسر والكبت والامتهان مع أني امرأة صغيرة السن جداً. وقبل ذلك لم أكن مسيحية كما ينبغي أن أكون، فلم تكن اهتماماتي كما يجب أن تكون عليه اهتمامات المؤمن العادي، بقدر ما كانت بالقصص ووسائل التسلية والترفيه.

ثم بدأت المحنة الصعبة في السجن، فقد اتُّهمت بأمر لم أرتكبه، وقد زلزل كياني بسبب أني تحققت من عجزي عن الدفاع عن نفسي، وإدراكي أنني هالكة لا محالة إلاّ إذا تدخَّل الله. وبدأت أصلي بكل حرارة وبتوسل وبكاء متشفعة بوالدة الإله سيدة المعونة. وقد أحسست بعد الصلاة على الفور بتحرُّري من كل شعور بالخوف، كما أحسست بأن لديَّ القوة لمواجهة الإتهام. فبدأتُ أجيب - تلقائياً - على استجوابات المحققين. فكان ما قلتُه بمثابة معجزة حقيقية إذ حمل ما يثبت التبرئة الكاملة لي. وبذلك تحقق في حياتي صدق الإنجيل حيث يقول: «وتساقون أمام ولاة و ملوك من أجلي شهادة لهم و للأمم فمتى أسلموكم فلا تهتموا كيف أو بما تتكلمون لأنكم تُعطَوْن في تلك الساعة ما تتكلمون به» (مت ١٠ :١٨، ١٩)

وكانت نتيجة الإستجواب أنهم استدعوا خبيراً في التنويم المغناطيسي ليراني. وقد أحسست وأنا تحت تأثيره كأني أسقط في هوة عميقة، فانتابني خوف ورعب لا يمكن للكلمات أن تعبِّر عنهما، صاحبهما إحساس بأني مذنبة بسبب شيء لا أعلمه. وسمعت صوتي أنا نفسي - آتياً كما لو كان من خارجي، صارخاً: أنا مذنبة... أنا مذنبة.

ووقَّعتُ اعترافاً بكل شيء "ارتكَبْتُه أنا وارتكَبَتْه أسرتي".

وفي اليوم التالي أروني اعترافي، فاكتشفت مدى خسَّة ما فعلت في حق عائلتي، فرفضت أن أوقع ثانية. ولجأت إلى الصلاة بكل قوتي.

ثم تذكرت ما سبق أن قاله لي والدي أكثر من مرة - بأن الصلاة تساعد في حالة التنويم. فوقفت هناك في السجن في وسط زنزانتي وأنا أتلو مصلِّية ذلك المزمور الذي كنت أستظهره: «الساكن في عون العلي.» (مز٩١).

وفي الاستجواب التالي عندما قال المنوم: "أُنظري إلى عينيَّ"، فنظرت إليه في شجاعة وبدأت أتلو سرّاً هذه الصلاة الرائعة المذهلة. حينئذ أصبح المنوِّم عصبياً. ثم ازداد عصبية وصرخ قائلاً: "أوقفي ذلك". ثم غادر الحجرة والعرق الغزير يقطر منه قائلاً: "ليس لدي شيء أخر أصنعه بشأنها".

وعندما استدعوني لترحيلي إلى المنفى (الذي قرّروا أخذي إليه)، وضعوني أولاً في زنزانة للعزل الإنفرادي، وهي حجرة لا تتسع لأكثر من خطوة واحدة، فاستولى عليَّ الخوف، وامتلأت بالتساؤلات: إلى أين أنا ذاهبة؟ وماذا ينتظرني هناك؟ وخيَّم على نفسي شعور طاغٍ بالوحدة والعجز. فبدأت أصلّي وأتشفع بوالدة الإله. وقلت في سرِّي فيما قلت: "يا سيدي الرب. إنني لن أشعر بالخوف من أي شيء طالما أنا أعلم أنك معي.". وبينما أنا أصلي انفتح الباب فجأة وامتدت يد شديدة البياض مكسوَّة بالشعر الأحمر[٤]، حتى أدركني مع صوت يقول: "لأجلك". وتلقيت شيئاً مما كان في هذه اليد الممدودة، اتضح لي أنها أيقونة صغيرة بل دقيقة الحجم. وعندما نظرت إليها، لم أتمالك إلا أن أركع فوراً على ركبتيَّ وأنا مرتعدة، وبدأت أشكر الله ووالدة الإله التي

---

(٤) أعتقد أن هذه صفات القديس ساروفيم صاروفسكي (الذي من صاروف)

سترافقني طوال الطريق. لقد كانت الأيقونة تحمل على وجه منها رسم القديس ساروفيم صاروفسكي (الذي من صاروف) والذي كنتُ - كروسية - أُكرمه. أما الوجه الآخر فكان يحمل صورة والدة الإله (ذلك الرسم المعروف باسم: الرحمة الحانية).

وأذكر عندما كنت أودِّع والدتي قبل ذهابي للمنفى، أنها علَّقت حول رقبتي صليباً خشبياً قديماً كان قد أُحضِر من أورشليم منذ مدة طويلة. وظل هذا الصليب يحيط برقبتي حتى وصلت إلى مكان المنفى هذا في سيبريا (في أركوتسك). وفي الزنزانة التي أخذوني إليها وجدت النسوة الأخريات اللاتي تمت إدانتهن بنفس التهمة التي أُدنت بها أنا، جالسات كلٌ واحدة على فراشها، وزحفت أنا أيضاً إلى فراشي. كانت الحجرة مختنقة الهواء ومكتظة بالنساء (ومثقلة برائحة العرق واللحم البشري). وبعد مدة ابتدأت رائحة عطرية جميلة تفوح في المكان، فاندهشت النسوة وبدأن في التشمم لمعرفة مصدر الرائحة - وأنا أيضاً بدأت أستنشق الرائحة. وفجأة قالت لي امرأة كانت تجلس بجواري: "إنكِ أنتِ مصدر الرائحة الطيبة، إنها تفوح منكِ، إنه صليبكِ". فلكي يتأكدن سألنني أن أعطيهن الصليب، فكانت الرائحة المنبعثة منه تزداد قوة، وبدأت نسوة كثيرات منهن في الصلاة والبكاء. وصار هذا تعزية كبيرة لنا وتشجيعاً على احتمال آلام المنفى وعذاباته.

إن أقوى الآلام والمحن التي تعانيها النفس البشرية تجذب الإنسان بالحق قريباً من الله، وتجعله يتحقق ويتأكد من أنه خليقته وصُنع يديه، بل وكأنه طفل له يحنو عليه، كما تجعل الإنسان يكتشف أن الله وحده هو الذي يستطيع أن يساعد ويعين. وعلى ذلك فالآلام التي تُقبَل عن رضا وبالاختيار الحر وطبقاً لمشيئة الله، تُنمي روح الإنسان. هذا هو "البُعد الرابع" الذي لا يراه ولا يدركه الناس، وإن كانوا يبحثون ويفتشون عنه بكل إصرار.

إن حياتي كلها كانت ولا تزال حتى الآن مليئة بالمعجزات وبعمل

نعمة الله، ولكنها مليئة أيضاً بالمعاناة والعذاب والآلام المحرقة بل والصدمات الروحية أيضاً - وهي كلها وإن كانت دلالة على قوة الشيطان، تلك القوة التي يصعب جداً بل ويستحيل على الإنسان وحده أن يتجاوزها ويتغلب عليها، إلا أن معونة الله للإنسان تمكّنه من الحياة في انتصار على الشيطان وكل جنوده.

إنني آخذ (الأب ديمتري يتكلم) شهادة هؤلاء الناس عن إيمانهم على أنها شهادة عن صحة عقيدة قيامة الأموات. وأنا أشعر أن هذه القيامة هي رجاء آخذ في الاقتراب لا يستطيع شيء ما أن يوقفه. آمين.

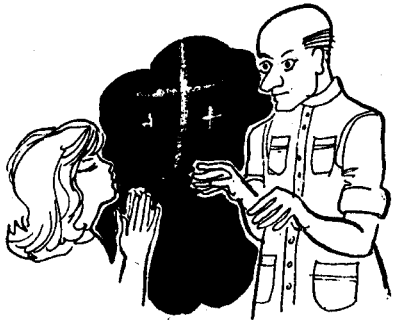

معجزة شفاء في تنـزانيا

تتحدث القبائل في القسم الغربي من تنـزانيا عـن معجـزة حـدثت لزعيم إحدى القبائل هنـاك اسمـه إبـراهيم أصـيب بسـرطان في جوفـه، ومارس عبادات ديانته ودفع ٥٠٠ جنيه تبرعاً لعله يُشفى. وقد شرح أحد الجراحين حالته وأكد أن لا شفاء منها، إذ لابد مـن استئصـال جـزء مـن أمعائه حتى يمكـن تحسـين حالتـه، لكـن حياتـه لا أمـل في إنقاذهـا. وفي الليلة التالية لدخوله المستشفي لإجراء هذه العملية رأى رؤيا. فقد رأى شخصاً مضيئاً يأتي إليه ويقول لـه: "أنـا يسـوع جئـت لأشـفيك، وقـد أتيت لأدعوك أن تتعمد؛ وحينما تتعمد ستأخذ اسم (أبرآم)". ولمـا قـال هذا، وضع يده على جوف الرجل المصاب بالسرطان ثم اختفى.

واستيقظ إبراهيم، وغادر فراشه وتوجه إلى مطبخ المستشـفى، حيـث طلب كوباً من الشاي. وتعجب الطباخ وسأله: "لكن أنت تعـرف أنـه غير مسموح لك بالأكل قبل إجراء العملية!" فرد المريض:

"لن أُجرى العملية... لقد شُفيت"!

واستدعى الطباخ الطبيب الجراح الذي فحص الرجـل فلـم يجـد أي أثر للسـرطان. وأمـر الطبيـب بعمـل فحـص بالأشـعة علـى المـريض، وأوضحت نتيجة الأشعة أن لا أثر للسرطان في جوفه!

وفي اليوم التالي استدعى إبراهيم الأسقف، وتعجب الأسـقف مـن طلـب الرجـل المعموديـة ومـن رغبتـه في أن يتسـمى باسـم "أبـرآم". واستدعى المسيحيون في جنوب تنـزنيا هذا الرجـل بعـد سـماعهم خـبر هذه المعجزة وهذا التجديد الذي نالـه إبـراهيم بالمعموديـة، ودعـوه إلى مدينة ليندي الساحلية، حيث سـرد شـهادته عـن الـرب يسـوع المسـيح مخلّصه ومخلّص كل العالم الذي شفاه.

(عن مجلة TAD)